

الأقباط في العصر الفاطمي*

د. حنا جريس
المركز القبطي
للدراسات الاجتماعية

1- الخلافة الفاطمية:

تأسست الخلافة الفاطمية في المغرب عام 909 م-297 هـ، و ينتسب مؤسسها عبد الله المهدي إلى مؤسس الحركة الإسماعيلية الشيعية إسماعيل بن جعفر الصادق زوج السيدة فاطمة بنت علي بن أبي طالب، و من هنا جاءت كنيثها بالفاطمية.¹ ويُعد تأسيس الخلافة الفاطمية أكبر نجاح حققته الحركة الإسماعيلية في صراعها مع الخلافة السنية أموية كانت أم عباسية، على الرغم من أن القرن الرابع الهجري شهد انتصارات شيعية أخرى في الشرق، فقبل إعلان الخلافة الفاطمية بوقت قصير نجح الزيدون في إقامة دولة في طبرستان سنة 864 م و اليمن سنة 897م كما استولى القرامطة على جنوب العراق والبحرين و الإحساء وبعد إعلان الخلافة بنحو ثلاثين عاما نجح البويهيون الشيعة في فرض سيطرتهم علي بغداد مركز الخلافة السنية. وقد استطاع الفاطميون استغلال الفراغ السياسي في شمال إفريقيا وُبَعْدَهُ عن مركز الحكم السني في بغداد في تأسيس خلافتهم و تقويتها قبل أن يبدؤوا في تنفيذ اختيارهم الإستراتيجي في الانطلاق نحو الشرق لإسقاط الخلافة العباسية و قد بدأ الفاطميون تنفيذ مخططاتهم بالسيطرة على حوض البحر المتوسط حتى حانت اللحظة التي استعد لها الخليفة المعز للانتقال إلى مصر مُستغلا في ذلك الفوضى السياسية و الاقتصادية التي حدثت في مصر في السنوات الأخيرة لحكم الإخشيد.²

2- الفاطميون في مصر

دخل الجيش الفاطمي مصر بقيادة جوهر الصقلي³ سنة 969 م/358 هـ . لم يواجه الجيش الفاطمي أية مقاومة حقيقية ، و انتهى الأمر بتفاوض المصريون مع جوهر فكتب لهم الأمان و حكم باسم الخليفة الفاطمي

^{1*}أعدت هذه الدراسة ضمن سلسلة الأقباط عبر العصور بوحدة المواطنة بالمركز القبطي للدراسات الاجتماعية

² أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر :تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية ، 1992

³ المصدر السابق ، ص 54

³يرد نسب جوهر في بعض المصادر " الصقلي " ، بينما يرد في البعض الآخر مثل المقرئزي و أبي حامد المقدسي " الصقلي " ، نسبة إلى عنصر الصقالبة المغربي الذين كانوا في خدمة الخليفة الفاطمي. راجع في ذلك المرجع السابق ص72، حاشية و أبي حامد المقدسي الشافعي، الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة ، تحقيق د.أمال العمري ، الهيئة العامة للآثار ، القاهرة ، 1988 ص 32 حاشية رقم 22 .

لمدة أربع سنوات هجرية حتى انتقل الخليفة المعز لدين الله إلى مصر سنة 972 م .

امتدت الخلافة الفاطمية في مصر قرابة مائتي عام يقسمها المؤرخون إلى قسمين، الأول عصر الخلفاء الأقوياء حيث تركزت السلطة في يد الخليفة وحده و استمر قرابة المائة عام حتى الجزء الأول من خلافة المستنصر بالله الذي حدثت في عهده أكبر مجاعة اجتاحت مصر في العصور الإسلامية و المعروفة بالشدة المستنصرية التي امتدت سبع سنوات ، أستدعى الخليفة في نهايتها أمير الجيوش بدر الدين الجمالي من الشام لحفظ الأمن، وليبدأ بذلك القسم الثاني للخلافة الفاطمية و الذي يطلق عليه عصر الوزراء الأقوياء حيث ضعفت سلطة الخليفة و سيطر الوزراء على الحكم . وقد سادت تلك الفترة اضطرابات كثيرة انتهت بأن أسقط آخر وزرائها صلاح الدين الأيوبي الخلافة الفاطمية، و أمر بالدعاء للخليفة العباسي في جـامع القاهرة.

3- الخلافة الفاطمية .. تغيير "كيفي" للسلطة في مصر:

لم يكن الحكم الفاطمي لمصر مجرد تغيير لفئة حاكمة مثلما هو الحال بالنسبة للطولونيين أو الإخشيديين ، بل كان انقلاباً سياسياً واجتماعياً وثقافياً⁴، فلم تُعد مصر ولاية تابعة للخلافة بل أصبحت مقر خلافة بما لذلك من تداعيات مادية وثقافية روحية.

فعلى الجانب الاقتصادي استطاع الفاطميون بما جلبوا من ثروات⁵ إنهاء التدهور الاقتصادي الذي صاحب نهاية حكم الإخشيد و أعادوا الأمان إلى البلاد على الرغم من أن الأسباب المحلية لهذه الصعوبات الاقتصادية (التمثلة في انخفاض النيل واجتياح الجراد و الفئران والعواصف والغلاء) ظلت مستمرة لمدة سبع سنوات في الفترة الأولى لحكمهم⁶. وأيضاً بطل إرسال الخراج أو الجزية خارج القطر، فتركزت و تداولت ثروات البلاد داخلها.

ومن ناحية أخرى مارس الفاطميون سلطاتهم المركزية - مثل معظم السلطات المركزية التي حكمت مصر- في ضبط ثروات النهر، فقاموا بتوسيع شبكة الري و أنشأوا إدارة خاصة للإشراف على أمور الزراعة. كما

⁴ ستانلى لينبول ، سيرة القاهرة ، ترجمة د. حسن ابراهيم حسن و آخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة 1998 ، ص 117 . (راجع أيضاً أيمن فؤاد سيد المرجع السابق ص 74).

⁵ تذكر المصادر التاريخية أن المعز أتى إلى مصر بكل أملاكه و خواصه حتى أنه أحضر رفات أجداده، و يفيض المؤرخون في حجم الثروة التي أتى بها المعز و آلتى اعتبرها له نسباً، راجع شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون

الأدب ، جزء 28 ، حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين و د. محمد حلمى محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز تحقيق التراث ، 1992 ، القاهرة ، ص 142-143

⁶ ساويرس بن المقفع ، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البع المقدسة ، تحقيق د. أنطون خاطر و د. أزلوبورمستر- مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، المجلد الثاني الجزء الثالث ، القاهرة 1968 ص 90

احتكروا بعض الصناعات و خاصة المتعلقة باحتياجات الجيش. و يصف أحمد صادق سعد الدولة الفاطمية بأنها "أكبر مستهلك في أسواق البلاد و أكبر تاجر" فقد تولت السلطة مهمة فرض التسعيرة على السلع الأساسية و كثيرا ما لجأ الفاطميون إلى مصادرة الغلال من تجارها وبيعها بأسعار جبرية.⁷

كما نتج عن اتساع حدود الخلافة الفاطمية من المغرب حتى الشام و الحجاز و اليمن أن هيمن الفاطميون على التجارة الخارجية لهذه المناطق. كما استفادوا من الثورة الحادثة في حجم و أساليب التجارة حول حوض البحر المتوسط في الفترة بين القرن العاشر و القرن الثالث عشر. و من ثم أسهم ذلك في ازدهار البلاد تحت الحكم الفاطمي خاصة في العصر الأول.⁸

أما على الجانب الثقافي و الروحي ، فإن الفاطميين الذين تزعموا حركة دينية فلسفية اجتماعية عظمت كان هدفها تحويل و تجديد كل الإسلام⁹ قد أحدثوا هزة قوية لمجتمع سني مما انعكس على سياسة الفاطميين في التعامل مع السنيين و غير المسلمين علي حد سواء كما سنرى فيما بعد.

4-الدولة الفاطمية و الأقباط

شكل المسيحيون ثلث عدد سكان مصر آنذاك¹⁰ ، أغلبهم من الأقباط (اليقابة) الذين ينتمون إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، و عدد قليل من الروم الذين ينتمون إلى الكنيسة البيزنطية و عدد من الأرمن الأرثوذكس الذين و فدوا إلى مصر في العصر الفاطمي .

وكان للكنيسة القبطية في مصر الرئاسة الروحية على الكنيسة في النوبة و الحبشة بالرغم من استقلال النوبة السياسي عن مصر منذ الفتح العربي بقيادة عمرو بن العاص المشروط بدفع الجزية السنوية المعروفة (بالبقت) للسلطة الإسلامية في مصر وبصفة عامة استمر وضع النوبة السياسي كما هو طوال حكم الخلافة الفاطمية كما لم يتدخل الفاطميون في علاقات الكنيسة القبطية بملوك النوبة أو الحبشة فعلى سبيل المثال لم تتدخل السلطة الفاطمية في المراسلات التي تمت لإعادة العلاقات بين الكنيسة القبطية وكنيسة الحبشة و التي تمت بوساطة ملك النوبة في خلافة العزيز¹¹. استثناءً لهذه السياسة فقد اشتملت القوانين التي أصدرها الخليفة الحاكم بأمر الله (996-1020) حال تشدده مع غير المسلمين، منع سفر

⁷ أحمد صادق سعد ، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي ، دار بن خلدون ، بيروت 1979 ص 255.

⁸ المرجع السابق، ص 253

⁹ أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 74

¹⁰ سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 ص 28.

¹¹ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق، ص

الأساقفة المصريين إلى النوبة أو الحبشة كما منع إرسال خطابات بطريرك الكنيسة القبطية إلى هناك لعدة أعوام.¹²

ومن الثابت أن الفاطميين قد استفادوا سياسياً من رئاسة الكنيسة القبطية لكنيسة النوبة. فقد كان بطاركة الأقباط دائمي التوصية لدى ملوك النوبة برعاياهم المسلمين بناء علي طلب الخلفاء الفاطميين¹³ ، كما ساهموا في ضمان استمرار وصول الجزية السنوية من النوبة ، مثلما حدث في خلافة المستنصر (1036-1094) حين أرسل وزيره اليازوري حملة إلي بلاد النوبة هدفها مضاعفة الجزية¹⁴ و تذكر بعض المصادر أن بطريرك الكنيسة القبطية أرسل إلي ملك النوبة يوصيه بدفع الجزية بعد أن كان قد أوقفها¹⁵ ، و لا نعلم إن كان موقف ملك النوبة هذا نابعا من طلب مضاعفة الجزية أم من موقف اليازوري من الكنيسة القبطية حيث أنه كان قد قبض علي البطريرك وأغلق العديد من الكنائس وطلب الأموال فدية عن الكنيسة ورئيسها¹⁶.

ومن الواضح أيضا أن الأقباط كانوا علي وعي تام بدورهم المحوري في تأمين الحدود الجنوبية لمصر لصالح الخلافة الفاطمية من خلال علاقتهم بكنيستي النوبة والحبشة فعندما أرسل ملك الحبشة إلي الخليفة الحافظ (1132-1149) يطلب منه التوسط لدى البطريرك غبريال بن تريك (1131-1145) لزيادة عدد أساقفة الحبشة رفض البطريرك وأرسل إلي الخليفة ينبه إلى ما في ذلك من خطورة قد تؤدي إلى استقلال كنيسة الحبشة عن الكنيسة المصرية ومن ثم " يخرجهم ذلك إلى العداوة و المحاربة لمن هو متاخم بلادهم من المسلمين كما كانوا يفعلون في قديم الزمان".¹⁷

ومثلما كان للكنيسة القبطية دور في تأمين حدود الدولة الفاطمية مع النوبة كان للمسيحيين الروم دور في تأمين الحدود الشمالية الشرقية، ففي الوقت الذي كان الفاطميون يثبتون أرجلهم في الأراضي المصرية كانت قوات الإمبراطور البيزنطي قد استولت على الكثير من المدن و الحصون في شمال الشام و بدأت في حصار إنطاكية¹⁸ ، ومن ثم كان علي الفاطميين توجيه جهودهم الحربية للشام ، وقد ظلت الحرب دائرة بين الفاطميين من جانب و أعدائهم البيزنطيين و القرامطة من جانب آخر.

في إطار هذا الصراع اختار الفاطميون أن يكون لهم قنوات دبلوماسية مع البيزنطيين تمثلت في رعاياهم من الروم المسيحيين. كان للخليفة العزيز بالله (975-996م) زوجة رومية أنجب منها الحاكم بأمر الله وأخته

¹² سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 282

¹³ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 286

¹⁴ المرجع السابق ، ص 284

¹⁵ إيريس حبيب المصري ، قصة الكنيسة القبطية ، الجزء الثالث مكتبة كنيسة

مارجرس اسبورتج ، الإسكندرية 1989 ص 81

¹⁶ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق ، ص

¹⁷ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق المجلد الثالث ، ج 1 ص 34

¹⁸ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 250

ست الملك كما عين العزيز أحد أخويها بطريركا علي بيت المقدس¹⁹ ، شارك هذا البطريرك في أول مفاوضات دبلوماسية بين الفاطميين و البيزنطيين مفوضا من برجوان وزير الخليفة الحاكم بأمر الله (996-1021) وذلك في فترة خلافته الأولى التي سيطرت عليها أخته ست الحكم. وقد انتهت المفاوضات بعقد معاهدة بين الطرفين مدتها عشر سنوات²⁰. وعندما استبد الحاكم بأمر الله بالحكم ، أبعد ست الملك وتشدد في التعامل مع المسيحيين وهدم كنيسة القيامة ضمن كنائس أخرى عديدة في كل أنحاء الخلافة. فعادت المناوشات الحربية من جديد إلى أن قتل الحاكم ، حينئذ أرسلت ست الملك بطريرك القدس في مهمة دبلوماسية إلى القسطنطينية للتفاوض ويبدو أنها لم تؤت أية نتائج لظروف وفاة ست الملك²¹. ويبدو أن دور المسيحيين الروم المحليين في الحكم قد انتهى بوفاة ست الملك فالسفارة التالية التي أرسلها الخليفة المستنصر إلى القسطنطينية كانت برئاسة القاضي أبو عبد الله القضاعي، بل إننا نلاحظ إنعدام دور الروم بصفة عامة في مسار الخلافة .

5- الأقباط في السياق الاجتماعي:

انتشر الأقباط ديموجرافيا في الأراضي المصرية كافة كما تواجدوا في كل الطبقات الاجتماعية ويعتقد الكثيرون أن هذا التغلغل القبطي الاجتماعي بالإضافة إلى تحول الأقباط إلى اللغة العربية قد ساهم بشكل أساسي في الاندماج الثقافي والحضاري بين الأقباط و المسلمين و في استمرار الأقباط و الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كواقع مميز للحياة المصرية عبر كل العصور، و تعكس العناصر الثلاثة التالية ما سبق:

(5-1) الأقباط في الإدارة العليا للدولة

يُلَمَّح المقريري إلي أن جوهر الصقلي حاول في البداية أن يستبدل الإدارة المحلية للبلاد بالمغاربة القادمين معه²² لكن لما ظهر له أن هؤلاء المغاربة أكثر إعتاباً للدولة من غيرهم لم يتم ما كان مزمعا من إخراج العمال القدماء²³ علي أن الفاطميين ما لبثوا أن توسعوا في استخدام غير المسلمين لاسيما الأقباط في إدارة شئون البلاد ، و لا يرجع هذا الموقف فقط إلي سياسة التسامح الديني التي اشتهر بها الفاطميين أو إلى حاجة الدولة إليهم وإنما يرجع إلى أن الفاطميين الشيعة وجدوا أنفسهم في محيط عدائي من أهل السنة و هم الأغلبية الكبرى من سكان مصر فلم يجدوا مناص من أن يعتمدوا على غير المسلمين الذين شكلوا أقلية

¹⁹ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ص 33

²⁰ محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية و تاريخ الخطط المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة 1998، ص 117

²¹ المرجع السابق ، ص 118

²² المقريري (تقى الدين أحمد بن علي)، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الأول ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1967

ص 119

²³ أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 77

نشيطه لها خبرة جيدة في إدارة البلاد ، فعهدوا إليهم بالوظائف الرئيسة التي أبعد عنها المسلمون السنيون²⁴.

ويبدو هذا الصراع بين الطبقة الحاكمة الشيعية والغالبية السنية - الذي استفاد منه الأقباط - في أوضح صورة في حادثة إعادة بناء كنيسة القديس مرقوريوس أبي سيفين، فقد استطاع البطريرك الحصول على الموافقة بإعادة البناء من الخليفة المعز، وهو الأمر الذي أثار سنيو الفسطاط فتظاهروا و أوقفوا العمل في الكنيسة مما أضطر المعز للنزول بنفسه إلى موقع الكنيسة و مباشرة أعمال البناء ، و التهديد بدفن أحد الأشخاص ألقى بنفسه في موقع أساس الكنيسة وعلق كاتب سير البيع المقدسة الذي أورد القصة "بأن الملك عاد إلى قصره ولم يجسر أحد بعد هذا أن ينطق بحرف واحد إلى أن كملت البيعة"²⁵

فخلال العصر الفاطمي الأول (عصر الخلفاء الأقوياء) ، عين الخلفاء الفاطميون تسعة من الوزراء و الوسطاء²⁶ غير المسلمين، ثلاثة من اليهود الذين أسلموا قبل قبول الوزارة أو حال قبولها ، و ثلاثة من الروم و ثلاثة من الأقباط ، وكان اثنان منهم عُيِّنَا من قبل الحاكم بأمر الله الذي قتلها فيما بعد أما الثالث فقد أعلن إسلامه حال قبول المنصب الذي ما لبث أن تركه هاربا بعد أيام قلائل لعدم قدرته على دفع رواتب الجند²⁷.

في العصر الفاطمي الثاني (عصر الوزراء الأقوياء) تغيرت أوضاع الخلافة ، وتغير وضع غير المسلمين بصفة عامة و الأقباط بصفة خاصة فلا نجد في الإدارة العليا للبلاد سوى بهرام الأرمني و هو الوحيد من غير المسلمين الذين تولوا الوزارة في خلافة الحافظ بعد سلسلة من الاضطرابات وقد نعت الخليفة بـ "سيف الإسلام تاج الخلافة " وهو باق على مسيحيته²⁸.

كانت الدولة الفاطمية تدار من خلال الدواوين المتخصصة ، فكان لها أربعة عشر ديوانا أشرف عل بعضها وعمل بها الكثير من الأقباط، وكان أهم هذه الدواوين ديوان المجلس الذي يذكره المقرئزي نقلاً عن ابن الطوير على أنه أصل الدواوين و به كل علوم الدولة²⁹ و لم يكن يتولى إدارته عادة سوى المسيحيين إلى أن استخدم الوزير رضوان بن ولخشي (عصر الوزراء الأقوياء) المسلمين في المناصب التي كانت بأيدي النصارى، أما ديوان النظر و كان يرأس دواوين الأموال فلم يتولاه إلا مسيحي واحد عينه الخليفة الحافظ و ما لبث أن عزله الوزير بن ولخشي ثم أعاده الحافظ مرة أخرى بعد عزل بن ولخشي من الوزارة ، ولدنا

²⁴ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ص 28 ، أيمن فؤاد سيد مرجع سابق ، ص 89 و

ستانلى لينبول ، مرجع سابق، ص 117

²⁵ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق، ص

²⁶ منصب الوساطة أستحدثه الخليفة العزيز بالله حتى يتمكن من يوكل مهام الوزارة

لعيسى بن نسطورس دون أن يكون عليه الالتزامات الدينية التي لمنصب الوزارة ، المقرئزي: الخطط ، الجزء الأول، ص 438

²⁷ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 43-79

²⁸ أيمن فؤاد سيد ، مرجع سابق، ص 193

²⁹ المقرئزي ، الخطط ج 2 ، مرجع سابق، ص 236

أيضا تواجد قبطني واضح في ديوان التحقيق وهو الديوان الذي لم يكن يتولاه إلا كاتب خبير³⁰. ثم لدينا ديوان الخاص والذي يجمع عادة مع ديوان المجلس و قد عين فيه كثير من الأقباط. وبالإضافة إلى ما سبق فقد انخرط الأقباط في كافة الدواوين الحكومية كصغار موظفين وكتبة ، و كأصحاب خبرات في النواحي الإدارية خاصة فيما يتعلق بتحديد الأراضي الزراعية و تقسيمها تمهيدا لجباية ما عليها من خراج و هي المهن التي توارثها الأقباط طوال الحكم الإسلامي فكان منهم المساحون و الأدلاء و القصابون وغيرهم. الأمر الذي يعني أن الأقباط كانوا متواجدين بشكل كبير في إدارة الدولة الفاطمية في كافة مستوياتها أكثر من أي فترة أخرى من فترات الحكم الإسلامي . كان من نتائج هذا التواجد القبطني آنذاك أن أثار حفيظة المسلمين و الذي يبدو أنه كان بسبب مبالغة الأقباط و غير المسلمين بصفة عامة في محابة ذوبهم. و يذكر المؤرخون عددا من أشكال الاعتراض علي مكانة غير المسلمين التي باتت أعلى مما يرغبون مثل التعليقات الشعرية الساخرة أو محاولة البعض أن يصل باعتراضه إلى الخليفة³¹. وقد أدت محابة بهرام الأرمني للأرمن بصفة خاصة و الأقباط بصفة عامة على مدي عامين إلى اندلاع الاضطرابات التي انتهت بتولي رضوان بن ولخشي الوزارة "فأوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس"³².

تذبذب وجود الأقباط في إدارة الدولة صعودا هبوطا طوال الحكم الفاطمي، فبينما كان لهم تواجدا ملحوظا في عصر الأول للخلافة تراجع تواجدهم تدريجيا في العصر الثاني حتى مجيء آخر وزراء الخلافة صلاح الدين الأيوبي الذي أخذ بفتوى القاضي البيساني الذي أشار ألا يستخدموا النصارى نظار أموال ولا مشارفين³³.

(2-5) التسامح الديني (العلاقات الإسلامية - المسيحية في العصر الفاطمي)

التسامح الديني مع غير المسلمين (وخاصة الأقباط) من أكثر الأحكام على الفترة انتشارا و تصديقا عند أغلب المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة بالتاريخ و التحليل، ويدلل المؤرخون على هذا الحكم بالتسامح الديني بعدة أمور من أهمها مايلي:

- *ازدياد تواجد الأقباط في المناصب الإدارية العليا للدولة .
- *حرية إقامة الشعائر الدينية والاحتفالات الدينية، وبناء الكنائس.
- *التساهل في تطبيق الشروط العمرية.

وعادة ما يبرر هذا التسامح بظروف نشأة الدولة الشيعية في محيط عدائي سني كما أسلفنا، أو أن يرد إلى طبيعة الخليفة الواسع الإطلاع و

³⁰ أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 263

³¹ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 87-88

³² المقرئزي ، الخطط ج 2 ، مرجع سابق، ص 172

³³ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق، المجلد الثالث، ج 2 ص 64

المتسامح مثل المعز³⁴، أو لتأثير نساء الخليفة من الأديان الأخرى مثل زوجة العزيز بالله المسيحية و أبنته ست الملك³⁵، أو أم المستنصر السودانية و التي ظلت على ولائها لسيدتها الأسبق اليهودي الديانة³⁶. أو أن ترد فترات التشدد إلى جنون الحاكم أو تجاوز أصحاب السلطة أو الأغنياء من "أهل الذمة" مثل بهرام الأرمني³⁷.

وإذا أمعنا النظر في الأدلة السابقة نجد أن الفاطميين لم يستحدثوا استخدام غير المسلمين في المناصب الإدارية العليا للبلاد، فقد تعامل جوهر من البداية مع رجال الحكم السابق مثل يعقوب بن كلس اليهودي الأصل وأبو اليمن قزمان بن مينا وزير كافور الإخشيدي³⁸. وما لبثوا أن توسعوا في ذلك لما ذكرنا من أسباب، كما أنهم لم يشترطوا على الأقباط التخلي عن مسيحيتهم للوصول إلى هذه المناصب أو البقاء فيها. وقد ظل الأمر كذلك طوال الحكم الفاطمي، باستثناء عصر الحاكم³⁹، حتى وزارة رضوان بن ولخشي في خلافة الحافظ الذي أخرج المسيحيين من وظائفهم لسبب مسيحيتهم، ويعد بن ولخشي أول وزير سني للخلافة الفاطمية، وهو ما يطلق عليه البعض الإصلاح السني الذي أنهى علي الخلافة الفاطمية بعد ثلاثين عاما من وزارة بن ولخشي⁴⁰ علي يد وزير سني آخر هو صلاح الدين الأيوبي الذي منع الوظائف عن الأقباط بفتوى دينية.

أما بالنسبة للاحتفالات الدينية، فمن الواضح أنها كانت احتفالات شعبية يشترك فيها كل المصريين طلبا للفرح، وقد شارك الفاطميون في هذه المهرجانات بالهدايا والهبات ومشاركة بعض رموز الدولة في بعض الأحيان، ويعطينا المقريري وصفا شيقا لأعياد الأقباط زمن الفاطميين مثل عيد النيروز، و عيد الميلاد، و عيد الغطاس، وخميس العهد، وعيد الشهيد⁴¹. وقد كان الخلفاء الفاطميين يتغاضون في كثير من الأحيان عن التجاوزات التي كانت تحدث في هذه الاحتفالات كما كانوا يمنعونها في أحيان أخرى.

ومن ناحية أخرى كان عصر الفاطميين من العصور التي لم يكدر فيها الأقباط كثيرا بالنسبة لشروط الزي والركوب والمرور و بناء الكنائس التي يطلق عليها العهد العمري. وإقامة الشعائر و المجاهرة به، فمن البداية كان التصريح الذي أعطاه المعز لبناء كنيسة القديس مرقوريوس أبي سيفين، ويخبرنا كاتب سير البيعة أن البطريك استطاع في نفس الفترة

³⁴ ستانلى لينبول، مرجع سابق، 115، 117-118

³⁵ سلام شافعي محمود، مرجع سابق، ص 32-33

³⁶ المقريري، أعطاء2، مرجع سابق، ص 267

³⁷ ساويرس بن المقفع، مرجع سابق، المجلد الثالث، ج 1 ص 30

³⁸ ساويرس بن المقفع، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص 88

³⁹ علي الرغم مما عناه الأقباط في عصر الحاكم من ضغوط، يذكر بن سعيد الأنطاكي أن الحاكم كان سائر كتابه و أصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى إلا نفر يسير، راجع

سلام شافعي محمود، مرجع سابق، ص

⁴⁰ أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 200

⁴¹ المقريري، الخطط، مرجع سابق، ص ج 1 110-112 و ج 2 ص 389-394

بناء كنائس أخرى في الوجه البحري و القاهرة. كما بنى البطريرك زخارياس الكنيسة الكبيرة بدمروا في عهد العزيز بالله ويذكر أيضا أن آخرستودولوس بنى وكرز ستة كنائس في الإسكندرية⁴²

إلا أن هذا لم يمنع الضغط على الأقباط أكثر من مرة. حدث هذا في خلافة الحاكم بأمر الله ، والوزير رضوان بن ولخشي الذي كان " أول وزير أمر أن لا يستخدموا النصارى في الدواوين الكبار ولا نظار ولا مشارفين وأن يشدوا زنايبرهم في أوساطهم ولا يركبوا الخيل وضاعف عليهم الجزية"⁴³، والوزير اليازوري، وفي كل مرة اشتملت القرارات على هدم الكنائس أو إغلاقها مع مصادرة ما بها . ومن الواضح أن أقسى هذه الأحداث جاءت في زمن الخليفة الحاكم الذي يحاول البعض تبرير تشدده مع الأقباط بالالتزام بالشروط العمرية أو بمعنى آخر بتقوى الحاكم نفسه⁴⁴، وهو أمر بحاجة إلى مراجعة في ضوء تصرفات الحاكم الأخرى، وقد بلغت الأحداث في عصره حدا غير مسبوق عندما "ألزم اليهود و النصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى بلاد الروم، فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفي"⁴⁵. ولعل هذا الحدث يعبر عما يختزنه الأقباط من علاقة حميمة بالأرض التي ينتمون إليها.

وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية فقد كان من نتائج ازدهار الدولة الفاطمية دفع بمكانة الأقباط الاجتماعية إلى وضع أفضل ، فقد كان للأقباط وجود في كافة مناحي الحياة إنتاجا واستهلاكا. وقد صاحب ذلك وجود علاقات قبطية إسلامية على مستوى النخبة ، فعلى سبيل المثال فإن أحد وجهاء العرب يدعى ماضي بن مقرب كان هو الذي توسط لدى الخليفة الحاكم بأمر الله للإفراج عن كل المسجونين لديه بمن فيهم بطريرك الأقباط الذي كان الحاكم قد اعتقله و قد فعل الرجل هذا بناء على طلب نجار قبطي كان معتل كان يعمل لصالحه.⁴⁶

كما نرى الوزير علي بن احمد الجرجاني -الذي يقول عنه كاتب سير البيعة " أنه كان رجل يفهم و يحب النصارى" - هو الذي اقترح على الأقباط استخدام القرعة الهيكلية في انتخاب البطريرك، كما أسقط عنهم مبلغ ثلاثة آلاف دينار موجوبة لبيت المال حل اختيار البطريرك.⁴⁷

وعندما أمر اليازوري وزير الخليفة المستنصر بغلق الكنائس في الإسكندرية سارع الأمير المؤيد والي الإسكندرية بإبلاغ الأقباط حتى ينقلوا ما هو هام في كنائسهم من آلات و كساوي وغيرها حتى أنه عند تنفيذ الأمر لم يجد القاضي و الشهود بالكنائس إلا الحصر و مصيدة للفئران.⁴⁸

⁴² ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق

⁴³ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق، المجلد الثالث ج، 1 ص 31

⁴⁴ أيمن فؤاد سيد ، مرجع سابق، ص 102-105

⁴⁵ مينا إسكندر ، القول الإبريزي للعلامة المقريري ، مصر 1898 ص 53

⁴⁶ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق

⁴⁷ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق

⁴⁸ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق

إلا أننا في مقاربتنا هذه سنحاول إلقاء الضوء علي عاملين من العوامل الموضوعية التي قد تتيح لنا فهم المناخ المتسامح الذي وجد بغير شك في فترة الخلافة الفاطمية. ويمكن حصرهما في : (أ) الانفتاح (ب) طبيعة المذهب الإسماعيلي

(أ) الانفتاح

تراجع الموقف العدائي بين المسيحية والإسلام بصفة عامة طوال القرن العاشر و حتى النصف الأول من القرن الحادي عشر. فمذ بداية القرن العاشر توقف "الجهاد الإسلامي" عن دق أبواب القسطنطينية حربيا بل وعن التمدد في البحر المتوسط أكثر مما كان يسيطرون عليه، وفي هذا الإطار بدأ تبادل السفارات و الاتصالات التجارية بين المسلمين و المسيحيين الأوروبيين⁴⁹.

كانت الخبرة الأولى للفاطميين مع المسيحيين في شمال المتوسط و اليهود في المغرب من خلال التبادل التجاري المنتعش في حوض البحر المتوسط في تلك الفترة⁵⁰ وليس العداء الحربي ولعل هذا يفسر لنا قبول الفاطميين المتسامح لغير المسلمين في مصر خاصة الأقباط، ويسرد لنا كاتب سير البيعة المقدسة واحدة من المناظرات الدينية التي كانت تمارس بحرية بين معتنقي الأديان المختلفة في ذلك الوقت وبرعاية المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين في مصر⁵¹.

وعلى المستوى السياسي تعددت السفارات الدبلوماسية بين البلدان الإسلامية والبلدان المسيحية فكانت هناك مباحثات دبلوماسية بين الإخشيد و البيزنطيين تلتها المباحثات الفاطمية البيزنطية والمعاهدة المبرمة بينهما⁵²، وبصفة عامة وعلى مستوى العالم القديم ساد القبول المتبادل بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي طوال هذه الفترة.

إلا انه في النصف الثاني من القرن الحادي عشر بدأ الهجوم الأوربي المعاكس في إطار الحروب الصليبية مما كان له أثر مباشر في انتكاس التسامح الديني في الجزء الثاني من الخلافة الفاطمية خاصة بعد وزارة الأفضل بن بدر الجمالي و الذي سقطت في عهده أجزاء كبيرة من ممتلكات الفاطميين في الشام في أيدي الصليبيين.

(ب) المذهب الإسماعيلي

كان المذهب الإسماعيلي هو المذهب الرسمي للدولة الفاطمية ويرى صادق سعد أن الهيكل الأساسي للفكر الفاطمي نجده في رسائل إخوان الصفا وهي تدعو إلى وحدة الأخيار و الأخوة بينهم و إلى السماحة إزاء الأديان على أساس مطالب العقل السليم، فالتأويل الفاطمي للمذهب

⁴⁹ جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث ، تراث الإسلام ، ترجمة د. محمد زهير السمهوري وآخرين، سلسلة عالم المعرفة عدد 233، 234 ، الكويت 1988

⁵⁰ أحمد صادق سعد ، مرجع سابق، ص 253

⁵¹ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق ، المجلد الثالث ، ج 2 ص 64

⁵² محمد عبد الله عنان، مرجع سابق ص 100-104 و 115-126

الإسماعيلي أعطى حرية واسعة للتفكير و ازدهر التفكير الفلسفي، و يرد نفس المؤرخ هذه النزعة العقلانية إلى تزايد نفوذ الطبقة التجارية في المجتمع الفاطمي. وقد ارتبط بالمذهب الإسماعيلي كبار المفكرين العرب أمثال المتنبي و أبي العلاء و ابن سينا و الفارابي وابن رشد.⁵³

(3-5) قوى الإنتاج في العصر الفاطمي و دور الأقباط:

يرجع كثير من مؤرخي تلك الفترة ازدهار الخلافة الفاطمية لتلك التقدم الملموس في القوى الإنتاجية الزراعية و الصناعية و ما تبعها من نمو في العلاقات السلعية و النقدية و انتعاش للتجارة الداخلية و الخارجية. أي أن العامل الرئيسي في دفع عجلة التطور الفاطمي كان مرجعه نشاط و جهد صغار المنتجين من المزارعين و الصناع المصريين من المسلمين والأقباط.

وكان الكثير من قرى الريف المصري سكانها من النصارى أو يغلب على سكانها الفلاحون من الأقباط ، وقد ساهم الفلاحون الأقباط بقدر كبير في الإنتاج الزراعي ، وأثروا وتأثروا بالسياسة الزراعية لمصر في عصر الفاطميين⁵⁴. إلا أن معلوماتنا عن الريف المصري في تلك الفترة شحيحة، ولا يوجد لدينا ما يجعلنا نعتقد في وجود اختلاف ما بين الفلاح المسلم و أخيه القبطي فكلاهما بتعبير المقرئزي " فلاحا قرارا".

أما في الصناعة فقد كان للأقباط دور هام في تطويرها وقد كان وراء هذه الطفرة الجديدة رغبة الفاطميين في استغلال مهارة الأقباط في الإنتاج الصناعي⁵⁵ وقد تنوعت الصناعات في مصر الفاطمية النسيج، السفن، الأسلحة، السكر، الزيتون، النبيذ، الورق، الزجاج، المعادن..... كما تطورت أساليبها.

وكان النسيج هو أكثر الصناعات تطورا و ازدهارا، و هو أيضا أهم الصناعات التي أحترفها الأقباط و تميزوا بها. وقد انتشر نسج الكتان في الإسكندرية و مدن الوجه البحري التي قطنها عدد كبير من الأقباط مثل دمياط و تانيس التي يذكر ناصري خسرو أن سلطان مصر رفض أن يعطيها لسلطان الروم في مقابل مائة مدينة فهي المدينة التي تصنع له "القصب" و "البولقمون" وهما من أفخر منسوجات تانيس،⁵⁶

ونحن نعلم أنه من بداية دخول الفاطميين، أن عائلة قبطية تدعى أولاد قشلام ساعدت جوهر الصقلي في الاستيلاء على تانيس⁵⁷ كما نعلم أن

⁵³ أحمد صادق سعد ، مرجع سابق، ص 318

⁵⁴ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 104

⁵⁵ أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 296

⁵⁶ ناصري خسرو ، رحالة فارسي زار مصر في خلافة المستنصر (1036-1094) وقد وصف الحياة الاجتماعية و الاقتصادية لمصر في هذه الفترة في مؤلفه "سفرنامه" الذي ترجمه يحيى الخشاب، القاهرة، 1954 ص 38

⁵⁷ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق ، والكاتب هنا هو ميخائيل أسقف تانيس والذي نقل القصة عن أحد معاصريها

البشامرة تراجعوا عن مساندة القرامطة ضد جوهر مما جعلنا نعتقد أن الأقباط في المدن الصناعية ساعدوا الفاطميين منذ البداية ضمنا للاستقرار واستمرار صناعتهم، فما أن استقرت الدولة ودفعت بالمناخ الملائم حتى انطلق الصانع الأقباط في الإبداع والإنتاج، وقد تطورت صناعة النسيج بشكل أكبر من كافة الصناعات الأخرى، وعلل البعض ذلك بظهور طبقة ثرية من أهل الحكم و المرتبطين بهم مما هيا فرصة جيدة للصانع للإنتاج و الابتكار فذاع صيت المنسوجات المصرية في العالم القديم وقد استخدم الخلفاء الفاطميين الصانع الأقباط المهرة في مصانع النسيج الخاصة بهم و المسماة "دور الطراز" فقد شيد الخليفة الظاهر مصنعا لنسج الحرير كان يضم ثلاثة آلاف صانع⁵⁸

أما في الصعيد فقد اشتهرت أسبوط بصناعة المنسوجات الصوفية حتى أن الإنسان ليظنها منسوجات من الحرير⁵⁹ كما اشتهرت أخميم بالمنسوجات الحريرية والصوفية.

والملاحظ أن هذه المدن الرئيسية في النشاط الصناعي الخاص بالنسيج كان بها كراسي أسقفية قوية و مشهورة سواء كان ذلك في الإسكندرية أو دمياط أو تانيس أو أسبوط التي كانت البرجوازية الصناعية فيها من القوة بحيث أنها منعت الأسقف المعين للمدينة من دخولها لمدة ثلاثة اعوام لأنهم لم يشاركوا في اختياره و لأنه دفع مالا لينال الأسقفية.⁶⁰

وقد نشط الأقباط أيضا في صناعة الورق و التجليد فكان لهم خبرة في صناعة البردي، وقد صاحب ذلك اهتمام الفاطميين بدور العلم و المكتبات، فامتلات مكتبات الأديرة و الكنائس وكذلك الأفراد بالكتب و المخطوطات.⁶¹ كما شاركوا بسهم في صناعة الزجاج و البلور و المعادن و الخشب (و لصناعة الخشب أهمية كبيرة في الإنتاج الفني لذلك العصر كما سنذكر لاحقا)

وفي التجارة الداخلية ساهم الأقباط بنصيب لا بأس به فكانوا همزة الوصل بين المنتجين والتجار الأجانب، فاشتهرت المدن التي قطنها أغلبية قبطية بازدهار أسواقها، فعلى سبيل المثال يذكر ناصري خسرو أن مدينة تانيس كان بها عشرة آلاف دكانا للعطارة .

6- الفن و الثقافة :

شهد العصر الفاطمي تأسيس مدرسة فنية و ثقافية متميزة تستحق أن تنسب إلى العصر الفاطمي. وأهم ما تركته تلك المدرسة هي فنون الخشب الموجودة في كافة الأبنية الدينية المسيحية و الإسلامية كذلك في

⁵⁸ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 118

⁵⁹ ناصري خسرو ، مرجع سابق، ص 77

⁶⁰ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق ، والكاتب هنا هو ميخائيل أسقف تانيس والذي

كان شاهد عيان على القصة كلها من موقعه ككاتب للبطريرك

⁶¹ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق، ص 128

القصور و البيوت. ويحتوي كتاب سير البيع المقدسة المنسوب لساويرس بن المقفع أسماء الكثير من النجارين والمصورين الأقباط مما يؤكد الدور الذي لعبه الفنان القبطي في فنون تلك العصر المسيحية أو الإسلامية.

وتظهر بصمات الفنان القبطي في كافة الآثار الباقية من العصر الفاطمي قبطية كانت أم إسلامية . فالحشوات الخشبية الموجودة في حجاب كنيسة القديسة بربارة (والمحفوظة في المتحف القبطي بمصر القديمة) تتشابه في زخارفها مع زخارف العوارض الخشبية لقصر الخلافة الفاطمية (محفوظة في المتحف الإسلامي بالقاهرة) التي تحتوي على أشكال آدمية وحيوانية على خلفية من الزخارف المجردة.

وأيضا فإن الحشوات الخشبية للباب الضخم الموجود بدير مار جرجس للراهبات بمصر القديمة و تلك الموجودة في حجاب كنيسة مار يعقوب المقطع (بكنيسة أبوسيفين بمصر القديمة) و التي تتكون معظمها من زخارف مجردة، تتشابه مع الحشوات لباب الأزهر المنسوب إلى الخليفة الحاكم بأمر الله (محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة).

وتطورت الفنون الخزفية تطورا ملموسا في العصر الفاطمي كنتيجة للازدهار الاقتصادي وظهور طبقة من الأثرياء القادرين على اقتناء منتجات الفنون الخزفية غالية الثمن. كما كان للتبادل التجاري أثر في نقل التقنية الخاصة بهذه الفنون من الصين وإيران والعراق لتبدأ طفرة في إنتاج الأواني الخزفية التي لاقت انتشارا في ذلك العصر و خاصة الأواني الخزفية ذي البريق المعدني.

وقد أستخدم الفنان القبطي أشكالا مختلفة من الفنون الخزفية للتعبير عن موضوعات مسيحية متنوعة مثل الطبق الخزفي ذو البريق المعدني الذي يصور كاهن يحمل يمينه مبخرة وإلى يساره صليب (محفوظ في المتحف البريطاني) ويبدو أن مثل هذه الخزفيات الدينية كانت منتشرة في العصر الفاطمي قد تطورت بصورة كبيرة. فقد استخدم الفنان القبطي الألوان بشكل أكثر دقة ووضوح , وصور موضوعات أكثر تعقيدا، وبعد الطبق الذي يصور إنزال السيد المسيح من الصليب و المحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة من أجمل الأعمال الخزفية الملونة، وعلي الرغم من أنه يرجع إلى العصر الأيوبي فإنه يعطينا فكرة قوية عن التطور الذي حدث في الفنون الخزفية في القرون الوسطى علي يد الأقباط.

واستمر المصور القبطي في إبداع الجداريات القبطية المشهورة مثل جداريات مذبج القديس يوحنا بكنيسة أبوسيفين بمصر القديمة و أيضا الجداريات الضخمة بالدير الأبيض والتي يمكن إرجاعها لفترة حكم بهرام الأرمني الذي عاش في الدير بعد تركه للوزارة في عهد الخليفة الحافظ.

7-التعريب:

بدأ تحول الأقباط من اللغة القبطية إلي العربية حثيثا مع دخول العرب مصر (645م) وتسارع منذ الإصدار الأموي بتعريب كافة الدواوين (706م)

بتشجيع من البيروقراطية القبطية التي أقبلت على تعلم العربية للحفاظ على مكانتها و نفوذها داخل الدول الإسلامية المتعاقبة كما حرصوا في نفس الوقت على تعليم أولادهم العربية لضمان توريثهم المناصب والوظائف. أما العصر الفاطمي فقد حمل نقلة نوعية في عملية تحول الأقباط إلى العربية تمثلت في الأمور الثلاثة التالية :

- ظهور مؤلفات بالعربية في مجالات شتى لمؤلفين أقباط لم تعرف لهم مؤلفات بغير العربية كساويرس بن المقفع (أسقف الأشمونين) وسعيد بن بطريق (البطريرك الملكاني).
- انتشار العربية كلغة في الحياة اليومية بين الأقباط.
- استخدام العربية في الخدمة الليتورجية (البطريرك غبريال بن تريك 1131-1145م)⁶².

ومما لاشك فيه إن القرار البابوي الذي أصدره البطريرك غبريال بن تريك (1131-1145م) بتعريب الخدمة الليتورجية (حيث قرر قراءة الإنجيل باللغة العربية بعد اللغة القبطية أثناء خدمة القداس الإلهي) قد ساهم بفاعلية في التوسع في استخدام العربية كلغة في كافة مناحي الحياة القبطية، أما حيثيات تلك القرار والتي سجلها المرسوم البابوي أن عدد كبير من أعضاء الكنسية أصبح غير قادر على متابعة خدمة القداس باللغة القبطية⁶³. وفي تقديرنا أن القرار جاء استجابة عملية للمتغيرات الحادثة في حياة الأقباط على أرض الواقع الاجتماعي و التاريخي. ويبدو ذلك واضحاً في إقبال النخبة القبطية على الأسماء العربية مثل السعيد أبو الفخر وأبو الحسن الأبح و الأخرم بن زكريا و المكين أبو البركات و بن أبي ياسر و الرشيد أبو ذكري و غيرهم كثيرين⁶⁴ صارت العربية الأداة الثقافية للإنتاج المسيحي القبطي (لاهوت، قوانين كنسية، تاريخ كنيسة، سير قديسين...) بما يعني ذلك من استخدام منهج وأسلوب ومفردات ومصطلحات الثقافة العربية، وكما يذكر أبو سيف يوسف، يبدو هذا جلياً في مؤلف ساويرس بن المقفع في اللاهوت (مصباح العقل) الذي نحا فيه سواء في الأسلوب أو المصطلحات منحى المتكلمين من فلاسفة الإسلام.⁶⁵ كما يظهر جلياً تأثير الكتاب الأقباط بالثقافة العربية الإسلامية و الذي يمكن إرجاعه إلى طبيعة عملهم الرسمي في الدواوين .

لقد بدأت حركة الإنتاج المسيحي لمتقفي القبط بترجمة العديد من أعمال التراث القبطي إلى العربية ، فترجموا الميامر (المواعظ الروحية و النسكية) وسير الآباء القديسين وتواريخ البيعة، ويذكر الأنبا ميخائيل أسقف تانيس في ذلك الوقت أن أحد رجالات هذا العصر المعروف بالواضح بن

⁶² أبو سيف يوسف -الأقباط و القومية العربية مركز دراسات الوحدة العربية -بيروت 1987 ص 71-72

⁶³ إيريس حبيب المصري -مرجع سابق ص 134

⁶⁴ إيريس حبيب المصري ،مرجع سابق، ص128

⁶⁵ أبو سيف يوسف ، المرجع السابق، ص 82

رجا صنف عشرين كتابا لأخر يدعي أبي البشر جارود الكاتب المصري.⁶⁶ كما يذكر أنه سافر إلى الشام حيث البطريرك الأنطاكي بالرسالة السنوديقا وهي رسالة اعتراف بالإيمان المسيحي اعتاد بطاركة الإسكندرية وإنطاكية تبادلها وما يعنينا في هذا المقام أنها كانت باللغة العربية.

ويعتبر ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين القبطي من أهم المساهمين في تلك الحركة، فهو الكاتب المدون الأول لأهم مؤلف تاريخي عن الأقباط تحت الحكم الإسلامي والمعروف بـ "سير البيعة المقدسة" ثم تناوب على الكتابة في المؤلف عدد كبير من المؤلفين أكملوا ما بدأه ساويرس.

ومع النهضة المعرفية التي أثارها الفاطميون أتجه الأقباط نحو تحديد بعض القوانين الكنسية بشكل واضح، فقام البطريرك خرستودولوس (1043-1074 م) في خلافة المستنصر بالله بنشر مجموعة القوانين الكنسية عام 1048 م. ثم أصدر البطريرك غبريال بن تريك مجموعتين من القوانين الأولى خاصة بالقواعد والأحكام التي يجب أن ينتهجها الأساقفة والكهنة، والثانية خاصة بالطقوس الكنسية.⁶⁷

أما أهم كتاب تلك الفترة منذ القرن العاشر فهم : أسقف الأشمونين بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية ساويرس بن المقفع و سعيد بن بطريق البطريرك الملكاني مؤلف كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق و كتاب البرهان . ومن المترجمين الراهب القبطي أثناسيوس و ميخائيل أسقف تنيس الذي عاصر ساويرس . وفي القرن الحادي عشر نجد تواريخ لميخائيل بن بدير القبطي و موهوب بن منصور القبطي و أبي المكارم أسعد بن الخطير بن مماتي وبقيرة الرشيدي . وفي القرن الثاني عشر نجد البطريرك القبطي مرقس بن زرع . ويعتبر القرنين الثالث عشر و الرابع عشر هما أوج ازدهار الإنتاج المسيحي العربي.

⁶⁶ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق، ص 109
⁶⁷ ساويرس بن المقفع ، مرجع سابق